



خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجــزء الأوّل

36. الطغيان يجلب أنواع الويلات

23 ربيع الثاني 1380هـ الـموافق 14 أكتوبر 1960م

الـحمد لله الّذي جعل الـحياة والتقدّم لـمن باشر الأسباب، وتعاطى الأعمــال الــمجدية الّتـي ترتقـي بأولـي الألباب، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، يؤيّد من يشاء من عباده، ويهدي من استجاب لطاعته إلـى رشاده، وأشهد أنّ مـحمّدًا عبده ورسوله، الّذي ضحّى بكلّ ما عنده فـي سبيل نشر دعوتـه، وإعلاء كلمة ربّه، صلوات الله وسلامه عليه، وعلـى آله وأصحابه الّذين قاموا بنشر لواء الإسلام، وتبليغ دعوته إلـى كافّة الأنام، رضي الله عنهم ومن سلك سبيلهم إلـى يوم الدّين.

أمّا بعد: فإنّ معالـم الـحقّ ودلائله ظاهرة لكافّة البشر، ومعلومة فـي قـرارة نفوسـهم، وهـم يعترفـون بذلك عند كلّ خاطرة تـمرّ علـى أذهانهم، ولكنّ العناد والظّلم اللّذيْن جُبلت عليهمـا النّفوس الشّرّيرة، والـمكابرة التي طغت علـى العقول والقلوب، هي التـي جعلـت أكثـر النّـاس يسـتنكفون عـن الــحقّ، ويـحيدون عن سبيله، ولو اعترف كلّ واحد بذلك فـي قرارة نفسه، وأعلن به فـي أقواله وأعمـاله لزالت الـخصومات، وانقطعت مكائد الشّرّ، وانتهت الفتن، وأصبح النّاس يعيشون فـي أمن وطمأنينـة، وأخـوّة متبادلة، ورفاهيّة شاملة.

ولكنّ الطغيان الذي استولـى علـى كثير من النّفوس هو الذي جلب لنا أنواع الـويلات، وهـدّد حياتنـا بأنواع الـمخاوف والـمهالك، حتّى أصبح كلّ واحد يقاسي أنواعًا من الآلام والــمحن، ويتجـرّع كـأس الـمرارة فـي كلّ وقت من أوقاته، وحينمـا يريد أن يدفع عن نفسه بعضًا من هذه الكوارث التي أحـدقت به وأحاطت بساحته علّه يـخفّف عن نفسه بعضًا من هذه الـهموم والأحزان، يلقى هـذه الــمحاولة غـير نافعة؛ لأنّه يـجد نفسه عاجزًا أمام هذا الـخضمّ الـمتلاطم عليـه مـن كـلّ جانـب، وهكـذا تكـون نهايـة مـحاولته الفشل والاستسلام لكلّ هذه الأهوال التي تقلق راحته، وتفقده السّعادة والــهناء.

ولكن لو التزم كلّ واحد منّا حدوده، وأدّى واجباته، وحافظ علـى الأمانة الّتـي وُكِّلـت إليـه لصـلحت أحوال البشر جميعا، وعاشوا كلّهم فـي رغد من العيش، وعمّتهم الرّفاهية والعزّة التي تـحفظ مسـتواهم، وتدفع عنهم كلّ ما يهدّد كيانهم أو يقلق راحتهم وأمنهم.

ولذلك نرى الله -جلّ شأنه- يمنّ علـى عباده ببعث الرّسل ليقيموا لـهم الشّرائع والأديان التي تـحفظ حقوقهم، وتأمرهم بالتزام العدل والإنصاف فيمـا بينهم حتّى تشملهم الرّحمة، ويعمّهـم الإحسـان، وتهنـأ حياتـهم، ولذلك قال الله -عزّ وجلّ- فـي رسـوله -صـلّى الله عليـه وسـلّم-: {وَمَـا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَـةً لِلْعَالَـمِينَ} الأنبياء: 107.